الحلقة 15

معجزات الله التي أيد بها رسله

إعداد: هشام المنشاوي

رغم قوتهم وشدتهم إلا انهم لم يقدروا عليه

«الريح».. معجزة هود التي سلطها الله على قوم عاد

- الله منحهم الصحة والعافية إلا انهم انحرفوا عن طريق عبادته
- لم ييأس هود من دعوة قومه وكان يحاول إقناعهم بطرق مختلفة
- اتبعوا عبادة الأصنام فكانوا يعبدون «صمدا» و«صمود» و«هرا»
- سلط الله على قوم هود ريحا قويه قلعت الاشجار وهدمت المنازل

روى أبو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلي الله عليه وَسلم قَالَ: مَا مِنَ الأَنْبِيَاء مَنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَة. متفق عليه.

وهَذه صيغة عموم تقتضي وجود آية لكل نبي من الأنبياء يبقى بعد ذلك النظر في تعيين هذه الآية فما ذكره القرآن كآية موسى وعيسى وصالح وغيرهم من الأنبياء آمنا به إجمالا وتفصيلا، وما سكت عنه القرآن كآية إلياس واليسع وغيرهما من الأنبياء فلا ينبغي التكلف في البحث عنه، لأنه لا يترتب عليه عمل وما كان كذلك وسكتت عنه النصوص فالبحث عنه غير مستحسن شرعا، قال الشاطبي في الموافقات: كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح، من حيث هو مطلوب شرعا. انتهى.

وأما بخصوص السؤال عن قوم هود: فإنهم قد جاءتهم آيات من الله سبحانه بدليل قوله سبحانه: وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ ﴿هود:59﴾.

آية هود عليه السلام

جاء في تفسير التحرير والتنوير: ما جئتنا ببينة ـ بهتان، لأنه أتاهم بمعجزات، لقوله تعالى: وتلك عادٌ جحدوا بآيات ربهم ـ وإن كان القرآن لم يذكر آية معينة لهود عليه السلام، ولعل آيته أنّه وعدهم عند بعثته بوفرة الأرزاق والأولاد واطّراد الخصب وفرة مطردة لا تنالهم في خلالها نكبة ولا مصيبة بحيث كانت خارقة لعادة النعمة في الأمم. انتهى.

وبعض العلماء يذكر أن آية هود عليه السلام تحديه لقومه بهذه الطريقة وهو بين أظهرهم على ما ذكرناه في الفتوى رقم: 152373.

وذلك أن هودا عليه السلام كان بين قومه وحيدا فريدا وهم حوله محيطون به والحال أنهم أشداء أقوياء حتى بلغ من فرط قوتهم ومكانتهم أن استكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة كما حكى القرآن عنهم،

ومع ذلك يتحداهم بهذه الطريقة ويستفزهم بقوله: فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ـ وهم من حوله عاجزون لا يملكون مباشرة شيء من ذلك، يقول الألوسي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره: وأياً مّا كان فذاك من أعظم المعجزات بناء على ما قيل: إنه كان عليه السلام مفرداً بين جمع عتاة جبابرة عطاش إلى إراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة، وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على ما هيجهم فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه، وظهر عجزهم عن ذلك ظهوراً بيناً. انتهى.

وقال تعالى حكاية عن قوم عاد: " قالوا يا هود ما جئتنا ببينة.. " –هود:53، وقال العلامة زكريا الأنصاري تعالى عند هذه الآية: " إن قلت: هود كان نبيا رسولا، فكيف لم يظهر معجزة؟ قلت: قد أظهرها و هي الريح الصرصر، و لا يقبل قول الكفار في حقه.. " – فتح الرحمن بكشف ما التبس من القرآن:–227. لكن الذي يظهر أن هذا الكلام فيه نظر، إذ كيف تكون الريح معجزة و هي إنما أرسلها الله تعالى عذابا عليهم، و المعجزة إنما يؤيد به الله تعالى رسوله لإقامة الحجة على قومه و حملهم على تصديقه فهي بمثابة رسالة من الله تعالى لهم :" أن صدق عبدي فيما أخبر به عني".

و العذاب إنما يحل بعد ظهور المعجزات و تماد الناس في التكذيب و إصرارهم على الإنكار، فالعذاب يأتي بعد المعجزة و ليس العذاب نفسه معجزة. و لا ريب أن هود جاءهم بالبينات و المعجزات و لا يلزم أن يعينها القرآن الكريم و يحددها كلها، فقد صح عن النبي الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة و التسليم:" ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر " و هذا عام لكل الأنبياء و الرسل.

البينة بالبينة

و ما أجمل ما سطره العلامة السعدي تعالى عند تفسيره لهذه الآية:"إن كان قصدهم بالبينة البينة التي يقترحونها، فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتهم ببينة، تشهد لما قاله بالصحة، فقد كذبوا في ذلك، فإنه ما جاء نبي لقومه، إلا وبعث الله على يديه، من الآيات ما يؤمن على مثله البشر. ولو لم يكن له آية، إلا دعوته إياهم لإخلاص الدين لله، وحده لا شريك له، والأمر بكل عمل صالح، وخلق جميل، والنهي عن كل خلق ذميم من الشرك بالله، والفواحش، والظلم، وأنواع المنكرات، مع ما هو مشتمل عليه هود، ، من الصفات، التي لا تكون إلا لخيار الخلق وأصدقهم، لكفى بها آيات وأدلة، على صدقه.

بل أهل العقول، وأولو الألباب، يرون أن هذه الآية، أكبر من مجرد الخوارق، التي يراها بعض الناس، هي المعجزات فقط. ومن آياته، وبيناته الدالة على صدقه، أنه شخص واحد، ليس له أنصار ولا أعوان، وهو يصرخ في قومه، ويناديهم، ويعجزهم، ويقول لهم: إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ، إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ × مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ وَهم الأعداءَ الَّذين لَهم السطوة والغلبةَ، ويريدون إطفاء ما معه من النور، بأي طريق كان، وهو غير مكترث منهم، ولا مبال بهم، وهم عاجزون لا يقدرون أن ينالوه بشيء من السوء، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون." اهـ– تيسير الرحمن:–383.

و في نفس المعنى يقول الشيخ الشعراوي تعالى:" والبيِّنة كما نعلم هي الأمارة الدالة على صدق الرسول. وصحيح أن هوداً هنا لم يذكر معجزته؛ وتناسوا أن جوهر أي معجزة هو التحدي؛ فمعجزة نوح هي الطوفان، ومعجزة إبراهيم أن النار صارت برداً وسلاماً عليه حين ألقوه فيها. ونحن نلحظ أن المعجزة العامة لكل رسول يمثلها قول نوح : ياقوم إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي وَتَذْكِيري بِآيَاتِ الله فَعَلَى الله تَوَكَّلْتُ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقضوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونَ [يونس : 71].

أي : إن كنتم أهلاً للتحدي ، فها أنا ذا أمامكم أحارب الفساد ، وأنتم أهل سيطرة وقوة وجبروت وطغيان . وأحْكموا كيدكم؛ لكنكم لن تستطيعوا قتل المنهَج الرباني؛ لأن أحداً لن يستطيعَ إطفاءَ نور الله في يد رسول من رسله؛ أو أن يخلِّصوا الدنيا منه بقتله . . ما حدث هذا أبداً . إذن : فالبيِّنة التي جاء بها هود أنه وقف أمامهم ودعاهم إلى ترك الكفر؛ وهو تحدي القادرين عليه؛ لأنهم أهل طغيان؛ وأهل بطش؛ ومع ذلك لم يقدروا عليه؛ مثلما لم يقدر كفار قريش على رسولنا الكريم .

هود عليه السلام

هو هود بن رباح بن عاد بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام ، وبعد نجاة المؤمنين مع سيدنا نوح فى السفينه عاشوا فترة من الزمن جميعا فى العراق ثم تفرق ابناء سيدنا نوح في البلاد فرحل ابنه سام الى جنوب اليمن واقام بها هو وابناؤه يعبدون الله ويطيعون اوامره ويحافظون على دينه وظلت هذه الذريه لا تشرك بالله شيئا وتفعل الخير وتبعد عن الشر فبارك الله فى اموالهم وابنائهم ومنحهم الصحه والعافيه لدرجه ان اجسامهم كانت ضخمه جدا وذلك لكى يتحملوا مصاعب الصحراء التى كانوا يعيشون فيها وكان يقال ان طول الواحد منهم يصل الى سبعين ذراعا وكان هؤلاء القوم يسكنون خيام ذات اعمده ضخمه قويه وصفها الله تعالى بقوله "الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد " وكان لقوتهم الجسميه اثر عظيم فى ارهاب القبائل التى تجاورهم

قبر نبي الله هود

اغواء الشيطان

على الرغم من ان الله منحهم الصحه والعافيه وانعم عليهم بنعم كثيره الا انهم انحرفوا عن طريق عباده الله واتبعوا عباده الاصنام فكان اغناؤهم يعبدون ثلاثه اصنام هم "صمدا" و"صمودا" و"هرا" واتبعهم بقيه القوم بعد ذلك فارسل الله لهم نبيهم هود لكى يعلمهم الخير ويبعهم عن عباده الاصنام

دعوة سيدنا هود

بعد ان نزلتا الرساله على سيدنا هود وامره الله بتبليغ الناس تعاليم الله وتذكيرهم بنعم الله وترك عبادة الاصنام التى لا تضر ولا تنفع خرج سيدنا هود ليتحدث مع قومه قائلا لهم ياقوم اعبدوا الله الذى خلقكم ورزقكم الصحه ورزقكم المال والاولاد قال الله تعالى حاكيا ذلك "واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطه فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون" وقال لهم واذكروا ان اله رزقكم عقولا تفكرون بها فبنيتم الابنيه الجميله التى لانرى مثلها فى بلاد غير بلادنا فهل يصح بعد ذلك ان نعبد الاصناكم ؟! وقالوا لسيدنا هود: انا نرى ان عقلك حدث فيه شئ قال سيدنا هود: ان عقلى سليم ولكنى ابلغكم رساله من عند الله فهى نصيحه وارجو ان تعملوا بها لعلكم تفلحون

فقالو له : يا هود ما جئتنا بما يبين ذلك ولن نترك عبادة الاصنام

كلام كاذب

قال بعض الناس من قوم نوح الذين كانوا يستفيدون من عبادة الاصنام حيث كانوا ياكلون من الذبائح التى يتقرب بها الكفار الى الاصنام فيذبحونها عندها فقالوا كلاما كذبا ليس صحيحا عل سيدنا هود وهو انه اصيب بالجنون وقالوا : كيف يكون نبيا وهو بشر مثلنا ياكل مما ناكل منه ويشرب مما نشرب ؟! ولو سمعنا كلام بشر مثلنا نكون سفهاء وقالوا : لو انزل الله انبياء من الملائكه؟ ولكن كيف يستطيعون على اتباع الملائكه فى العباده وهم بشر؟! وكذبوا كلام سيدنا هود عندما قال لهم : ان الله يحيى الانسان بعد موته مرة ثانيه ؛ ليحاسبه على اعماله.

اصرار على الكفر

لم ييأس سيدنا هعود من دعوة قومه وكان يحاول اقناعهم بطرق مختلفه ؛ لكى يتركو عبادة الاصنام ويعبدوا الله وحده الذى لا شريك له لان جميع المخلوقات خلقها الله وحده سبحانه وتعالى فمرة يوضح لهم نعم الله لكى يؤمنوا بالله ومره يثبت لهم ان الاصنام لم تخلقهم لذلك فهى لا تستحق العباده واحس الكافرون ان كل النعم التى يعيشون فيها من زروع وحدائق وابنيه عظيمه جائت بسبب تفكيرهم وليست هذه النعم الا بفضل ذكائهم وعقلهم ونسو فضل الله عليهم وانه هو الذى بيده خزائن السموات والارض

وهنا علم سيدنا هود والذين امنوا معه ان الشيطان سيطر على عقولهم وقلوبهم.

انذار اخير

خرج سيدنا هود يحاول مع قومه محاوله اخيره قبل ان ينزل عليهم العذاب من الله فقال لهم: يا قوم انى خائف عليكم عذاب الله ؛ لانكم عبدتم الاصنام وهذا شرك بالله وانا برئ مما تشركون قال له الكفار: اسكت يا هود والا عذبناك عذابا شديدا قال سيدنا هود: انا لا اخاف الا الله قال الكفار: وماذا سيفعل الله معنا؟ قال سيدنا هود : سوف ينزل عليكم عذابا فلا تتمتعون بحدائقكم ولا بيوتكم الجميله قال الكفار: وهل هناك ضرر واقع على ربك لاننا عبدنا الاصنام؟ قال سيدنا هود : الضرر سيقع عليكم انتم والدمار سينزل عليكم ان لم تطيعوا امر الله وتمتنعون عن عبادة الاصنام قال الكفار: واى ضرر يقع علينا نحن اصحاب الاجسام القويه والمبانى الضخمه؟ قال سيدنا هود: ان الله قادر على ان يهلك جميع من على الارض فى لحظه واحده قال الكفار: اذا كان ربك يقدر على ذلك فقل له يهلكنا ويدمرنا واغتر هؤلاء القوم بقوتهم فاستهانوا بكل شئ وظنو انه لا يستطيع احد ان ينتصر عليهم وانه لا حساب عليهم

عذاب شديد

بعدما احس قوم هود انه لا يقدر عليهم احد وان اصنامهم ستحميهم بدأ الله فى اخذ نعمه التى كان قد انعم عليهم بها فلقد منع الله عنهم المطر الذى ينزل بقدرته من السماء وهو الذى كان يعتمدون عليه فى حياتهم خاصة انهم يعيشون فى الصحراء وصلت عليهم حرارة الشمس الشديده كوت جلودهم فكانو يسرعون الى ابار المياه ليشربو منها ويضعوا الماء على اجسادهم فلا يجدون فيها ماء واحترق الزرع وماتت الماشيه وبعد ايام من العذاب راى قوم عاد سحابه سوداء قادمه فى اتجاههم فظنوا انها تحمل خيرا لهم

ارم ذات العماد

سخر الله عليهم رياحا عاتية

موقع المدينة

بقايا مدينتهم

اهلكهم الله بكفرهم